

منهج النبي ﷺ في التعامل مع المسيء إليه

The Approach of the Prophet PBUH in Dealing with Those Who Treated Him Improperly

Pendekatan Nabi SAW dalam Berhadapan dengan Orang yang Menghina-Nya

سعد الدين منصور محمد* ومحمد سيف الإسلام**

ملخص البحث

الإساءة إلى الرسول ﷺ - وإن كانت أمراً قديماً - ظهرت مؤخراً في أيامنا هذه في ثوب جديد، وقام المسلمون بردها بمناهج توافقت الشريعة أحياناً وتخالفتها أحياناً أخرى، ويهدف البحث إلى تناول المناهج النبوية لمعالجة هذا الموضوع، وذلك من خلال توزيع البحث إلى مقدمة ومباحث كل منها يحوي منهجاً مستقلاً من مناهج النبي ﷺ في معالجة قضية الإساءة إليه، ثم خاتمة ونتائج، بعد إخضاعها للمنهجين الاستقرائي والتحليلي، وقد توصل الباحثان إلى نتائج أهمها أن أكثر المناهج التي استعملها النبي ﷺ ضد خصومه من المسيئين إليه كانت: منهج العفو والسماحة، ومنهج الصبر والحلم، ويأمل هذا البحث - بعون الله ﷻ - أن يكون ذا أثر إيجابي في حلّ المشكلات التي يواجهها المسلمون في الوقت الراهن عند صدور إساءة في حق الرسول ﷺ.

الكلمات الأساسية: محمد ﷺ، الإسلام، الحديث، التعامل، الإساءة، الاستهزاء، الإيذاء، الصبر.

* أستاذ مشارك بقسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، البريد

الإلكتروني: eldin@iium.edu.my

** طالب دكتوراه بقسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا،

البريد الإلكتروني: saiifulislamazhari2012@gmail.com

Abstract

Treating the Prophet improperly- despite it being an old topic- had emerged nowadays in a new disguise. Muslims had been responding to this provocation sometimes in accordance with the teaching of Islam itself and sometimes by breaking its rules. This study aims to study the approaches of the Prophet himself in dealing with this issue. The study is divided into a brief introduction and several sub-topics that represent the different approaches of the Prophet PBUH in dealing with those who treated him improperly. The study made use of the library research method with content analysis. Among the most important conclusions: Most of the approaches of the Prophet in dealing with those who badly treated him are based on tolerance and forgiveness in addition to patience and steadfastness. The paper hopes that this would contribute to find a positive solution and responds in conflicts when the Prophet was put in such derogatory situations. **Keywords:** Prophet Muhammad PBUH, Islam, Hadith, Dealing with, Insult, Mockery, Patience.

Abstrak

Penghinaan kepada Nabi SAW bukan lagi perkara baru malah ia masih lagi timbul kini dengan wajah baru. Dan orang-orang Islam membalasnya dengan pendekatan yang mengikut shariah tetapi kadangkala meyalahi shariah. Kajian ini bertujuan untuk membincangkan pendekatan-pendekatan Nabi dalam menyelesaikan perkara ini. Pembahagian kajian bermula dengan pendahuluan yang menceritakan serba ringkas tentang kajian ini, kemudian bab-bab yang penulis jadikan sub topik yang mengandungi pendekatan yang digunakan nabi dalam menangani penghinaan terhadapnya, dan diakhiri oleh penutup dan dapatan kajian. Kajian ini menggunakan kaedah induktif dan analisa. Antara dapatan kajian ialah: pendekatan yang paling banyak digunakan nabi ialah kemaafan dan kesabaran. Moga-moga kajian ini dapat memberikesan positif dalam menyelesaikan masalah yang dihadapi oleh umat islam pada masa kini yang mana penghinaan terhadap nabi kembali timbul.

Kata kunci: Nabi SAW, Islam, Hadith, Pendekatan, Penghinaan, Kemaafan, Kesabaran.

مقدمة

كادت أن تتواتر في زماننا هذا بعض الصحف الغربية بإساءات منكرة ومتكررة تتجاوز فيها حدود اللياقة وأخلاقيات المهنة، وتخبط فيها إلى مستوى من البذاءة يشبه إلى حد ما تصرفات أبناء الشوارع الذين لا يجدون ما يعبرون به عن أنفسهم وطبيعة تربيتهم إلا أنكر الأصوات وأقبح الكلمات، فإذا كبروا وتلقوا شيئاً من التعليم شعروا بالحرَج؛ لأنهم لم يكونوا في الموقع المناسب للسلوك الآدمي، وهنالك مشكلة أخرى وثيقة

بهذه الظاهرة وأدعى للاهتمام والرد؛ أن بعض الناس يفكرون باستخدام هؤلاء السفهاء لاستفزاز خصومهم، وليقوموا بما ينجلون هم عن القيام به، كما فعل أهل الطائف بتسليط سفهائهم وصبيانهم لإيذاء الرسول ﷺ بالسباب والشتم؛ مما يتنافى مع القيم العربية في التعامل مع الوافد الغريب والضيف الدخيل المحتاج المأوى والقرى، وقد تنبّه إلى هذا العرب، فقال شاعرهم: "إِنَّ السَّفِيَةَ إِذَا لَمْ يُنَّهَ مَأْمُورٌ"¹.

ورغم أن هذه المحاولات الإجرامية البائسة كلها لم تضر الجناح النبوي الكريم بشيء، ولا الدين الإسلامي كذلك، فإنها تستوجب ردًا من المسلمين، وهناك مناهج اختارها الناس في التعامل مع الموضوع، فمنهم من تعامل مع أزمة الرسوم بالشجب والاستنكار، ومنهم من كانت المقاطعة وسيلته لإدانة هذه الجريمة، ومنهم من رأى أن الزيارة والنقاش بالحسنى هو الأسلوب الأمثل ليدركوا خطأهم، وغيرها، ولكن تظل الحاجة ماسة إلى التحقيق والبحث في المنهج الذي اختاره النبي ﷺ في التعامل مع المسيء إليه.

منهج تعامل النبي ﷺ مع المسيء إليه

1. منهج العفو والسماحة:

(العفو) لغة مصدر: عفا يعفو عفوًا، وهو مأخوذ من مادة (ع ف و) التي تدل إلى معنيين أصليين؛ أحدهما تَرْكُ الشَّيْءِ، والآخر طَلْبُهُ²، ومن المعنى الأول عفو الله ﷻ عن خلقه، وذلك تركه إيتاهم فلا يعاقبهم؛ فضلاً منه ﷻ، قال الخليل (ت173هـ): "العفو ترك إنساناً استوجب عقوبة فعفوت عنه، والله سبحانه هو العفو الغفور"³، وقال ابن فارس (ت395هـ): "وقد يكون أن يعفو عن الإنسان بمعنى الترك، ولا يكون ذلك عن

¹ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، جمهرة الأمتثال، (بيروت: دار الفكر، دط، دت)، ج1، ص 512.

² ابن فارس، حمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، دط، 1979م)، ج4، ص56.

³ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وغيره، (بيروت: دار مكتبة الهلال، دط، دت)، ج2، ص258.

استحقاق، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «عفوت عنكم عن صدقة الخيل»،¹ فليس العفو ههنا عن استحقاق، ويكون معناه: تركت أن أوجب عليكم الصدقة (أي الزكاة) في الخيل.² ومن خلال المعنى اللغوي يمكن حمل المعنى الاصطلاحي على أن كل من استحقَّ عقوبة، فتركها، فهذا الترك عفو، قال الكفوي (ت1094هـ): "كفُّ ضررٍ مع القدرة".³ و(السماحة) لغة مصدر: سمح يسمح سماحةً وسماحًا وسموحةً، وتدل مادة (س م ح) إلى معنى السلاسة والسهولة.⁴

وبناء على المعنى اللغوي يُقال إن في الاصطلاح وجهين: أحدهما بذل ما لا يجب تفضلاً،⁵ والآخر في معنى التسامح مع الآخرين في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أم مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.⁶

والمراد بمنهج العفو والسماحة أن النبي ﷺ لم يعاقب المسيئين إليه، بل عفا عنهم، فكان مثلاً أعلى في هذا الخلق الكريم والفضيلة الحسنة، وكان مُتخلِّفاً في ذلك بأخلاق القرآن الكريم في قوله ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: 199)، بل إن هذه الصفة الرفيعة وردت في التوراة، ويروي لنا ذلك عبد الله بن عمرو بن

¹ يُنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، السنن، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م)، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، ج3، ص25، رقم1574؛ ابن الأثير، محمد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وغيره، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، 1399هـ/1979م)، ج2، ص254.

² ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص57.

³ الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني، الكليات، تحقيق عدنان درويش وغيره، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، 1419هـ/1998م)، ص61.

⁴ يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص99.

⁵ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/1983م)، ص121.

⁶ صالح بن عبد الله، وغيره، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط4، د.ت)، ج6، ص2288.

العاص ﷺ إذ سئل عن ذلك، فقال: "أجل والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: 45)، وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظاً ولا غليظاً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غُلْفاً"،¹ وهذه كلها صفات عظيمة وُصف بها رسولنا ﷺ.

وهذا زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان يشيع حادثة الإفك حول أم المؤمنين عائشة، ويجرح النبي ﷺ في عرضه، والأعراض كان لها موقع القداسة عند العرب جميعاً حتى قبل الإسلام، إضافة إلى أنه قبل ذلك كان حياً كماً للمؤامرات، متربصاً بالنبي ﷺ وصحبه ﷺ الدوائر، لا يترك فرصة للنيل من الإسلام ونبيه ﷺ إلا انتهزها، ومع ذلك، وبعد أن أظهر الله براءة عائشة، يأتي ولد هذا المنافق ليطلب إليه الصفح عن أبيه، فيصفح، ثم يطلب منه قميصه ليكفن أباه به، فيعطيه، ثم يطلب إلى النبي ﷺ أن يصلي على أبيه ويستغفر له، فيفعل.

ولو أننا استعرضنا صفحات حياته ﷺ لرأيناها تفيض وتزخر بمواقف العفو والسماحة التي تجعلنا نمتلي إعجاباً ونفخر أعظم الفخر بسيرته ﷺ.

- أحاديث يُستنبط منها منهج العفو والسماحة:

1. عن أنس ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ، وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة،² فلما أتاه النبي ﷺ، فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ/2001م)، ج3، ص66.

² قوله: "سبخة"، الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص333.

الله ﷺ أطيّب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضربٌ بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات: 9)،¹ وفي هذا الموقف عفا النبي ﷺ عن عبد الله بن أبي، وعلى الرغم من أن لهذا المناق مواقف أخرى سابقة ولاحقة في الإساءة المتعمدة في حق الرسول ﷺ، ظل النبي ﷺ يتعامل معه بمنهج العفو والصفح.

2. عن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ، وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع² أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا لأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ، فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال: ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، فقال النبي ﷺ: دعوها فإنها خبيثة، وقال عبد الله بن أبي بن سلول: أقدم تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟، لعبد الله، فقال النبي ﷺ: لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه.³ لقد دعا النبي ﷺ الصحابة إلى ترك هذا الأمر، ولم يزد رسول الله ﷺ ابن أبي المنافق إلا أن عفا عنه وحسن صحبته له حيث قال النبي ﷺ لابنه: «يا عبد الله ما أردت قتله ولا أمرت به، ولنحسنن له صحبته ما كان بين أظهرنا».⁴

3. عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السّام عليك، فقلت: بل عليكم السّام واللعنة، فقال: يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: وعليكم.⁵

¹ البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص183.

² قوله: "كسع"، ضرب الدبر. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص173.

³ البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص183.

⁴ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، مغازي، (بيروت: دار الأعلمي، ن. د.)، ج2، ص420.

⁵ صحيح البخاري، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسبب النبي ﷺ ولم يصرح،

فقول اليهود في الحديث: "السام"؛ أله منقلبة عن واو، ومعناه: الموت،¹ وقيل: أصله السامة، فسُهلَّت الهمزة، وحذفت الهاء، والمعتمد أنه بمعنى الموت،² وقال ابن الأثير (ت606هـ): "ومنه الحديث: «إن اليهود كانوا يقولون للنبي: السام عليكم»، يعني الموت، ويظهرون أنهم يريدون: السلام عليكم"،³ وقد تجلت في هذا الحديث غاية لطفه ﷺ بالمسيء إليه، وعفوه ﷺ عنه.

2. منهج الصبر والحلم:

(الصبر) لغة مصدر: صبر يصبر، وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدلّ إلى معان ثلاثة: فالأول الصَّبْر، وهو الحَبْس؛ يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حَبَسْتُهَا، والثاني صُبْر كلِّ شيءٍ: أعلاه، وأصبار الإناء نواحيه، والواحد صُبْر، والثالث الصُّبْرَة من الحجارة ما اشتدَّ وغلظ، والجمع صِبَارٌ.

والمعنى الأول؛ أي حبس النفس؛ هو المطلوب في دراستنا، وفيه قال الله ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ (الكهف: 28)، وفي حديث النبي ﷺ في رجل أمسك رجلاً وقتله آخر؛ قال: «اقتلوا القتال واصبروا الصابر»؛⁴ أي: احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت.⁵

والصبر اصطلاحاً حَبْسُ النَّفْسِ على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه.⁶

نحو قوله: السام عليك، ج9، ص16.

¹ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص426.

² يُنظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1379هـ/1959م)، ج1، ص135.

³ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص426.

⁴ البيهقي، السنن الكبرى، ج8، ص91، رقم16031.

⁵ يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص172.

⁶ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط1،

1412هـ/1992م)، ص474.

و(الحلم) لغة مصدر: حلم فلان؛ أي صار حليماً، وهو مأخوذ من مادّة (ح ل م) التي تدلّ إلى ترك العجلة؛ قال الجوهريّ (ت393هـ): "الحلم (بالكسر) الأناة"¹، وقال ابن فارس (ت395هـ): "الحلم خلاف الطّيش، وقيل: هو الأناة والعقل، وهو نقيض السّفه، وجمعه أحلام وحلوم، وفي التّنزيل العزيز: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ (الطور: 32)، وقولك: حلم (بالضّم) يحلم حلماً؛ أي صار حليماً"².

والحلم اصطلاحاً ضبط النّفس والطبع عن هيجان الغضب،³ وقال الجرجاني (ت816هـ): "هو الطمأنينة عند سؤرة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم"⁴، فالحلم حالة توقير، وثبات في الأمور، وتصبّر على الأذى، لا يستشير صاحبه الغضب عند الأسباب المحركة، ولا يحمله على انتقام.

والنبي ﷺ تعامل مع المسيئين إليه بالحلم والصبر، فلم ينتقم منهم مع القدرة عليه، ولو تتبعنا كتب السنة والسيرة المشهورة نجد هذا المنهج في غالب حياته ﷺ.

- أحاديث يُستنبط منها منهج الصبر والحلم

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعقّر⁵ محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص⁶ على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال:

¹ الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م)، ج5، ص1903.

² انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص93.

³ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص253.

⁴ الجرجاني، التعريفات، ص92.

⁵ أي يسجد على التراب، ومنه حديث أبي جهل: «هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟» يريد به سجوده على التراب، ولذلك قال في آخره: «لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب» يريد إذلاله. يُنظر: ابن الأثير، النهاية

في غريب الحديث والأثر، ج3، ص262.

⁶ النكوص الرجوع إلى وراء، وهو القهقري. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج5، ص116.

إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾¹ أن رآه استغنى ﷻ إن إلى ربك الرجعى ﷻ أرأيت الذي ينهى ﷻ عبداً إذا صلى ﷻ أرأيت إن كان على الهدى ﷻ أو أمر بالتقوى ﷻ أرأيت إن كذب وتبولى ﷻ (العلق: 6-13) - يعني أبا جهل - ﴿أَمْ يَلْمِزُنا بِنِإانِّ اللّٰهٖ يَبْرئى ﷻ كِبٰلاً لِّئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعُنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﷻ ناصية كاذبة خاطئة ﷻ فلْيَدْعُ ناديه ﷻ سَدْعُ الرِّبٰئِيَةِ ﷻ كِبٰلاً لا تَطْعَمُهُ واسِجُدْ وَاقْبِرْ﴾ (العلق: 14-19)، زاد عبيد الله في حديثه؛ قال: وأمره بما أمره به، وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ ناديه﴾ (العلق: 17)، يعني قومه¹. فعندما لم تثمر الأساليب كلها في صدّ الرسول ﷺ وأصحابه عن دينهم؛ لجأت قريش إلى أسلوب الاعتداء والتصفية الجسدية، وقد استفحل إيذاؤها الرسول ﷺ في غضبتهم العلنية منه حين أضحى يُظهر شعائر دينه من مثل الصلاة عند الكعبة، والنبي ﷺ صبر على أذاهم، وقد كفاه الله المستهزئين.

2. عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى² ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (غافر: 28)³، وفي الحديث يحكي سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن أشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، وبلغ الأذى غايته، والنبي ﷺ لم يزداهم إلا صبراً.

¹ صحيح مسلم، ج4، ص2154، رقم2797.

² أي قتل. يُظفر: الرازي، مختار الصحاح، ص287.

³ البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص127، رقم4815.

3. عن أنس رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حتى غشي عليه، فقام أبو بكر، فقال: أي ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون؛ أحسبه قال: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر رضي الله عنه.¹

فقد نالوا من النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، ولم يزداهم صلى الله عليه وسلم إلا صبراً وحلمًا، وهذه الأحاديث التي استخرجنا منها منهج الصبر والحلم في تعامله صلى الله عليه وسلم مع المسيئين إليه قد تحتمل مناهج أخرى، ولكننا نراها للحلم والصبر أقرب.

3. منهج الإعراض والسكوت

(الإعراض) لغة مصدر: أعرض يعرض، وهو مأخوذ من مادة (ع ر ض)؛ بناءً تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العرض خلاف الطول، ومن ذلك: أعرضت عن فلان، وأعرضت عن هذا الأمر، وأعرض بوجهه؛ لأنه إذا كان كذا ولأه عرضه، والعارض إنما هو مشتق من العرض الذي هو خلاف الطول، ويقال: أعرض الشيء لك من بعيد، فهو معرض؛² وأعرض عنه: صدّ،³ والإعراض عن الشيء الصد عنه، ويقال: أعرض فلان، أي ذهب عرضًا وطولاً.⁴

والإعراض اصطلاحًا الانصراف عن الشيء بالقلب،⁵ وقال المناوي (ت1031هـ): "الإضراب عن الشيء بأن تأخذ عرضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه"،⁶ فالإعراض

¹ البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد، المسند، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1430هـ/2009م)، ج14، ص58، رقم7506؛ أبو يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى الموصل، المسند، تحقيق حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ط1، 1404هـ/1984م)، ج6، ص362، رقم3691. وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده أبو يعلى والبزار، يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص169.

² يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص272.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص182.

⁴ يُنظر: الجوهري، الصحاح، ج3، ص1084.

⁵ الكفوي، الكليات، ص28.

⁶ المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، (القاهرة: عالم الكتب، ط1،

عدم الالتفات إلى الشيء والاهتمام به، ومنه الإعراض عن المشركين والجاهلين، قال ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199).

و(السكوت) لغة مصدر: سكت يسكت سكتًا وسكوتًا وسكأتًا، وساكنتي فسكَّته، وأسكته الله، وهو عدم الكلام؛¹ قال ابن فارس: "السين والكاف والتاء يدلُّ على خِلافِ الكلام؛ تقول: سكت يَسْكُتُ سَكُوتًا، ورجلٌ سَكَّيتٌ".²

والسكوت اصطلاحًا تركُّ التكلم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت، فإن القدرة على التكلم غير معتبرة فيه، ومن ضمَّ شفثيه آثيًا يكون ساكتًا، ولا يكون صامتًا إلا إذا طالت مدة الضم، والسكوت إمساك عن قول الحق والباطل،³ وقال المناوي: "السكوت مختص بترك التكلم مع القدرة ولما كان ضربًا من السكون استعير له في آية: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبَ أَخَیذَ الْأَلْوَاخِ﴾ (الأعراف: 154)".⁴

ومنهج الإعراض والسكوت أنه ﷺ لم يجب المسيء إليه بشيء، بل أعرض عنه لما علم أن ربَّه ﷻ كفاه المستهزئين، وعالج الإساءة كأنها لم تقع أو وقعت والقصد غيره.

- أحاديث يُستنبط منها منهج الإعراض والسكوت

1. عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان رضي الله عنه، قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ (الضحى: 1-3).⁵

1410هـ/1990م، ص56.

¹ يُنظر: الجوهرى، الصحاح، ج1، ص253.

² يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص89.

³ الكنفوي، الكليات، ص509.

⁴ المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص195.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص172، رقم4950.

هذه المرأة جاءت تسخر من النبي ﷺ، وتسب جبريل ﷺ، ولم يجبهها النبي ﷺ، بل اختار منهج الإعراض والسكوت عنها.

2. عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 110)؛ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختلف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾، أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، عن أصحابك فلا تُسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.¹ لجأت قريش إلى سب القرآن ومُنزله ومن جاء به وهو النبي ﷺ، لم يجبههم بشيء، امتثل بالأمر الإلهي، وسكت وأعرض عنهم.

3. عن أنس ﷺ في هذه الآية ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر: 95، 96)، قال: مر رسول الله ﷺ، فغمز بعضهم، فجاء جبريل أحسبه؛ قال: فغمزهم، فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة حتى ماتوا.²

غمز بعض المشركين النبي ﷺ، ولم يردهم بشيء، فجاء جبريل ﷺ بالمدد الإلهي حتى انتقم منه، فمات.

هذه بعض الأحاديث في الاستدلال على منهج الإعراض والسكوت في تعامل النبي ﷺ مع المسيئين إليه، ويمكن أن تستقى من هذه الأحاديث مناهج أخرى أيضًا.

4. منهج الحكمة والرد بالتي هي أحسن:

(الحكمة) لغة مصدر: حكم؛ أي صار حكيماً، وهو مأخوذ من مادة (ح ك م)

¹ المصدر السابق، ج6، ص87، رقم4722؛ مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص329، رقم446؛ الترمذي، السنن، ج5، ص306، رقم3145؛ النسائي، السنن، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406هـ/1986م)، ج2، ص177، رقم1011.

² البزار، المسند، ج13، ص519.

التي تدلّ على المنع،¹ أو المنع للإصلاح،² ومن هذا الأصل أخذ أيضًا الحكم في معنى المنع من الظلم، وحكمة اللّجام؛ لأنّها تمنع الدّابة عمّا لا يريده صاحبها، والحكمة لأنّها تمنع من الجهل؛³ يقول الجوهريّ: "الحكم مصدر قولك: حكم بينهم يحكم أي قضى، ويقال حكم له أو عليه، والحكم أيضًا الحكمة المانعة من الجهالة، والحكيم العالم، والحكيم صاحب الحكمة، والحكيم المتقن للأمور، وقد حكم أي صار حكميًا".⁴

والحكمة اصطلاحًا على ثلاثة معانٍ: الأول الإيجاد، والثاني العلم، والثالث الأفعال المثلثة، كالشمس والقمر وغيرهما،⁵ وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما الحكمة في القرآن بتعلّم الحلال والحرام، وقيل: الحكمة في اللغة العلم مع العمل، وقيل: الحكمة يستفاد منها ما هو الحق في الأمر بحسب طاقة الإنسان، وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: الحكمة هي الكلام المقول المصون عن الحشو،⁶ وقال الحافظ ابن حجر: قيل: القرآن، وقيل: العمل به، وقيل: السنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة،⁷ والمعاني المذكورة كلها وغيرها تحملها كلمة (الحكمة)، ووردت هذه المعاني في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح؛ لذا لم يحددوا لها معنى، بل ذكروا تعريفات لها تختلف باختلاف نوع الحكمة من ناحية واختلاف من يتناولها من العلماء من ناحية أخرى.

والمراد بالردّ بالتي هي أحسن إنما هو الأسلوب الثالث من أساليب الدعوة المذكورة

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص91.

² الراغب، المفردات، ص248.

³ يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص91.

⁴ الرازي، الصحاح، ج5، ص1901.

⁵ الجرجاني، التعريفات، ص91.

⁶ الجرجاني، التعريفات، ص91.

⁷ ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص170.

في القرآن الكريم في قوله ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)؛ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال ﷺ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت: 46)، فأمره ﷺ بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: 44).

ومنهج الحكمة والرد بالتي هي أحسن في بحثنا هذا؛ أي تعامل النبي ﷺ مع المسيء إليه بالأسلوب الحكيم وبالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.

- ومما يُستنبط منه منهج الحكمة والرد بالتي هي أحسن

1. عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ ركب حملاً عليه إكاف¹ تحته قטיפية² فذكية³ وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة⁴ الدابة، خمر⁵ عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا، فاقصص عليه، فقال عبد الله

¹ الإكاف والأكاف من المراكب: شبه الرحال والأقتاب. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص8. وهو للحمار بمنزلة السرج للفرس.

² القטיפية: دثار مخمل جمعها قِطَاف وقطف. يُنظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج12، ص157.

³ قوله: على قטיפية فذكية، أي كساء غليظ منسوب إلى فذك؛ بلد مشهور على مرحلتين من المدينة. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص231.

⁴ قوله: "عجاجة"، بفتح المهملة وجيمين الأولى خفيفة أي غبارها. يُنظر: المصدر السابق، ج8، ص232.

⁵ قَوْلُهُ: خَمَّرَ أَنْفَهُ، أَي غَطَّاهُ. يُنظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج12، ص158.

بن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود؛ حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟ - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا، قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يُتَوَجَّوه فيُعَصَّبوه بالعصابة،¹ فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شريك² بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ،³ والحديث يحمل في طياته تعامل النبي ﷺ مع عبد الله بن أبي بالحكمة والوجه الحسن.

2. عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ما يرد عليه، قالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله، فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: أنت خير أم عبد المطلب، فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك؛ إنا والله ما رأينا سَخْلَةً⁴ قط أشأم على قومك منك، فزَّقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبَّت ديننا، ففضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن

¹ قوله: على أن يتوجه فيعصبوه بالعصابة، يعني يرئسوه عليهم ويسودوه وسمي الرئيس معصبا لما يعصب برأسه من الأمور أو لأهم يعصبون رؤوسهم بعصابة لا تنبغي لغيرهم يمتازون بها. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص232.

² قوله: شريك، بذلك، بفتح المعجمة وكسر الراء أي غص به وهو كناية عن الحسد يقال غص بالطعام وشجى بالعظم وشرق بالماء إذا اعترض شيء من ذلك في الخلق فمنعه الإساعة. يُنظر: المصدر السابق.

³ مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1422، رقم1798.

⁴ سخل: السين والحاء واللام أصل مطرد صحيح ينقاس، يدل على حقارة وضعف. يُنظر: ابن فارس، مقاييس

اللغة، ج3، ص145.

في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلَى بأن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نَتَقَابَأَى¹ أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا حتى تكون أغنى قريشٍ رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فنزوجهك عشراً، قال له رسول الله: أفرغت؟ قال: نعم، قال: فقال رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَم ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت: 1، 2)، حتى بلغ: ﴿فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا فَكُورَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الرِّجَالُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (فصلت: 13)، فقال عتبة: حسبك حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك؟ قال: نعم، والذي نَصَبَهَا بُنْيَةً²، ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَيَاعِقَةَ مِثْلِ صَيَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، قالوا: ويحك يُكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال، قال: لا، والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة.³

ومن يمدُّ نظره إلى الحديث يرى أنه ﷺ تعامل مع عتبة بن ربيعة المسيء إليه بحسن الاستماع والإنصات، وقد ضرب لنا ﷺ في موقفه معه أروع مثل في الأدب والتحلي بمكارم الأخلاق، ومن ذلك حسن استماعه لهذا المشرك الذي يدعو إلى الشرك ويساوم عليه ﷺ، فلنتأمل حُسن أدبه ﷺ في استماعه وإنصاته لعبته، وحُسن رده ﷺ عليه.

5. منهج مواجهة المسيء بالأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة:

المراد بمنهج مواجهة المسيء بالأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة ألا يقابل

¹ أفنى بعضهم بعضاً في الحرب. يُنظر: الجوهري، الصحاح، ج6، ص2457.

² أي الكعبة، دل عليه السياق.

³ أبو يعلى، المسند، ج3، ص349، رقم1818؛ الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج2، ص336؛ الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج2، ص278.

بالانتقام والجزاء الذي يستحقه، بل أن يتعامل معه بخلق حسن.

- ومما يُستتبط منه منهج مواجهة المسيء بالأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة

1. تعامله ﷺ مع كفار مكة الذين قدموا له ﷺ ولأصحابه ﷺ كل نوع من الإساءة، وواجههم النبي ﷺ بالأخلاق الفاضلة، أخرج البيهقي (ت458هـ) في (السنن الكبرى) في حديث طويل: ... ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب،¹ فقال: ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم حليم رحيم، قال: وقالوا ذلك ثلاثياً، فقال ﷺ: أقول كما قال يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: 92)،² فقد عفا ﷺ عن قومه أهل مكة رغم ما صدر عنهم من إيذاء له ولأصحابه ﷺ.

2. عن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير قال: كنت في الأسرى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ: استوصوا بالأسارى خيراً، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني البر لوصية رسول الله ﷺ.³

والتاريخ خير شاهد على ما فعل المشركون من أصحاب بدر من الإساءة إلى النبي ﷺ وإيذائه والمسلمين، والآن هم أسارى بين يدي الحبيب ﷺ ولم يتعامل معهم إلا بأن قدم لهم أخلاقه السامية، وأوصى المسلمين أن يعملوا بهم خيراً.

6. منهج استثمار الإساءة لمزيد التعريف به ﷺ وبأخلاقه وشمائله السامية:

منهج استثمار الإساءة لمزيد التعريف بالرسول ﷺ وبأخلاقه وشمائله السامية؛ نجد

¹ عضاداتا الباب: الخشبستان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص294.

² البيهقي، السنن الكبرى، ج9، ص199، رقم18275.

³ الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1405هـ/1985م)، ج1، ص250، رقم409؛ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، 1415هـ/1994م)، ج22، ص393، رقم977؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج6، ص115.

تطبيقاته في حياته الشريفة ﷺ.

- ومما يُستتبط منه منهج استثمار الإساءة لمزيد التعريف بالرسول ﷺ وبأخلاقه وشمائله السامية:

1. عن المطلب بن أبي وداعة، قال: جاء العباس إلى رسول الله ﷺ فكأنه سمع شيئاً، فقام ﷺ على المنبر، فقال: من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله عليك السلام، قال: أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً.¹ قال الترمذي: "هذا حديث حسن".²

قوله: "فكأنه سمع شيئاً"؛ أي سمع سيدنا العباس ﷺ الناس يطعنون في أنساب النبي ﷺ، كما تدل إليه الروايات الأخرى الآتية في هذا الموضوع، فالنبي ﷺ لم يقابلهم بمثل الإساءة، بل زودهم بمزيد التعرف به ﷺ.

2. عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً جلسوا، فتذاكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كَبْوة³ من الأرض، فقال النبي ﷺ: إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً.⁴ قال الترمذي: "هذا حديث حسن".⁵

وكم من الألفاظ الشنيعة استخدم هؤلاء لشتم رسول الله ﷺ وإيذائه، ولم يقابلهم

¹ الترمذي، السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر وغيره، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ/1975م)، أبواب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، ج5، ص584، رقم3608.

² السابق نفسه.

³ أي الكناسة. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص146.

⁴ الترمذي، السنن، أبواب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، ج5، ص584، رقم3606.

⁵ السابق نفسه.

بمثله، بل عرف الناس عن أصله ونسله الشريف.

7. منهج الزيارة والنقاش بالحسنى:

المراد به فتح باب الزيارة والنقاش بالحسنى للمسيء إلى الرسول ﷺ ليدرك خطأه.

- ومما يُستنبط منه منهج الزيارة والنقاش بالحسنى:

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد،¹ فجاءت برجل من بني حَنِيْفَةَ يقال له ثُمَامَةُ بن أُتَال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: ما عندك يا ثُمَامَةُ؟² فقال: عندي خيرٌ يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم،³ وإن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فثَرَكْتُ حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثُمَامَةُ؟ قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكِر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثُمَامَةُ؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثُمَامَةَ،⁴ فانطلق إلى بَجَلٍ قَريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال:

¹ أي بعث فرسان خيل إلى جهة نجد. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج 8، ص 87.

² أي ما الذي استقر في ظنك أن أفعله بك؟ فأجاب بأنه ظن خيراً، فقال: عندي يا محمد خير؛ أي لأنك لست بمن يظلم، بل ممن يعفو ويحسن. يُنظر: المصدر نفسه، ج 8، ص 88.

³ قال النووي: معنى رواية الأكثر أن تقتل ذا دم أي صاحب دم لدمه موقع يشتهي قاتله بقتله ويدرك ثأره لرياسته وعظمته، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه دم وهو مطلوب به فلا لوم عليك في قتله. يُنظر: السابق نفسه.

⁴ في رواية ابن إسحق قال: «قد عفوت عنك يا ثُمَامَةُ وأعتقتك». يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج 8، ص 88.

⁵ هو الماء القليل، ويجمع على أنجال. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 5، ص 23.

لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله، لا يأتيكم من الإمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي ﷺ.¹

ما أحكم النبي ﷺ وما أعظمه من موقف! فقد كان ﷺ يتألف القلوب، ويلطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير، وفي الحديث تعظيم أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لِمَا أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل،² وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه.

2. عن عبد الله بن أبي بكر وغيره أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من بني ثعلبة بن سعيد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وبني محارب بن خصفة بن قيس بذي أمّير³ قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ، وجمعهم رجل منهم يقال له: دُعُتُور ابن الحارث بن محارب،⁴ فندب رسول ﷺ المسلمين، وخرج في أربع مائة وخمسين، معهم عدة أفراس، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، فأصابوا بالمدينة رجلاً منهم بذي القَبِصَة⁵ يقال له: جبّار⁶، من بني ثعلبة، فقال له المسلمون: أين تريد؟ فقال: أريد يشرب لأرتاد لنفسي وأنظر، فأدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره من خبرهم، قال: قال لن يلاقوك ولو سمعوا بسيرك هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وأسلم، وضمّه رسول الله ﷺ إلى بلال، فأخذ به جبّار طريقاً، وهبط به عليهم، وسمع القوم بمسير رسول

¹ البخاري، صحيح، ج 5، ص 170، رقم 4372.

² يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج 8، ص 88.

³ قوله: "أمّير"، بفتح الهمزة والميم وتشديد الراء. يُنظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج 4، ص 176.

⁴ دعُتُور: بضم الدال وإسكان العين المهملتين وضم الثاء المثناة. يُنظر: السابق نفسه.

⁵ القَبِصَة: بفتح القاف وتشديد الصاد المفتوحة بعدها تاء تأنيث، واد على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة. يُنظر: السابق نفسه.

⁶ جبّار: بالجميم وتشديد الواو وبعده الألف راء. يُنظر: السابق نفسه.

الله ﷺ، فهربوا في رؤوس الجبال، فبلغ ماء يقال له: ذو أمر، فعسكر به، وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه مطر كثير، فابتليت ثياب رسول الله ﷺ وثياب أصحابه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ونشر ثيابه لتجفّ، واضطجع، وذلك بمراً من المشركين، واشتغل المسلمون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له: دُعْيُور بن الحارث، وكان سيدها وأشجعها، ومعه سيف متقلّد به، فبادر دعثور، وأقبل مشتملاً على السيف، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: الله، ودفع جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، وقال له: من يمنعك مني؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، ثم أتى قومه، فقالوا: ما لك وبلك؟! فقال: نظرت إلى رجل طويل، فدفع في صدري، فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت بأنّ محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام، وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هِنَمٌ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَيْنَكُمْ﴾ (المائدة: 11)، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيّداً، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة، وقال أبو عمر: قام رسول الله ﷺ بنجد صفر كلّه.¹

ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي ﷺ، ويناقشه في عصمته منه، والنبي ﷺ أجابه: الله هو القادر ﷻ أن يعصمه منه، وأثرت في الأعرابي هذه المناقشة القصيرة وعفو النبي ﷺ له حتى أسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير. والحديثان المذكوران نستدل بهما على منهج فتح باب النقاش للمسيء الذي هداه الله عز وجل حتى تاب وأسلم وحسن إسلامه.

¹ الواقدي، المغازي، ج 1، ص 194.

8. منهج الدفاع القولي الشديد المباشر الذي لا يصل إلى الاعتداء

أي رد النبي ﷺ للمسيئين إليه رداً قولياً شديداً، ومثل هذا في حياته ﷺ قليل جداً؛ قال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن تَهُمَّ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: 159).

- ومما يُستنبط منه منهج الدفاع القولي الشديد المباشر الذي لا يصل إلى الاعتداء:

1. روى محمد بن عمر عن أبي قتادة قال: انتهينا إلى بني قريظة، فلما رأونا أيقنوا بالشر، وغرز عليُّ التَّمِيْلَةَ الرَايَةَ عند أصل الحصن، فاستقبلونا في صياصيهم يشتمون رسول الله ﷺ وأزواجه؛ قال أبو قتادة: وسكتنا وقلنا: السيف بيننا وبينكم! وطلع رسول الله ﷺ فلما رآه عليُّ التَّمِيْلَةَ رجع إلى رسول الله ﷺ، وأمرني أن ألزم اللواء فلزمته، وكره أن يسمع رسول الله ﷺ أذاهم وشتمهم، فسار رسول الله ﷺ إليهم، وتقدمه أسيد بن حضير، فقال: يا أعداء الله، لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً؛ إنما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر، قالوا: يا ابن الحضير، نحن مواليكم دون الخزرج! وخاروا، وقال: لا عهد بيني وبينكم ولا إل، ودنا رسول الله ﷺ منهم، وترسنا عنه، فقال: يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت، أتشتموني؟ قال: فجعلوا يلففون بالتوراة التي أنزلت على موسى: ما فعلنا! ويقولون: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً! ثم قدم رسول الله ﷺ الرماة من أصحابه... إلخ.¹

ولم يُرِدْهم النبي ﷺ بالشدة إلا أن رده كان على أساس حفظ للإسلام وأهله.

2. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم أنك أن تصلي يا محمد، لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني، فانتهره النبي ﷺ، فقال جبريل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، فو الله لو دعا نادية لأخذته زبانية

¹ يُنظر: الواقدي، مغازي الواقدي، ج2، ص500.

العذاب.¹ وفي الحديث دلالة على ردّ النبي ﷺ لأبي جهل رداً شديداً لما أساء إليه ﷺ بمنعه عن عبادة ربه عز وجل.

9. منهج الدعاء على المسيء

والمراد بهذا المنهج أن النبي ﷺ دعا على المسيئين الكفار عندما أساءوا إليه ﷺ، وتجاوزوا الحد، ومنعوه عن عبادة الله ﷻ وإقامة دينه، وهذا أيضاً قليلاً في حياته ﷺ.

- ومما يُستنبط منه منهج الدعاء عليهم:

1. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد تُحرت جُزور² بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا³ جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث⁴ أشقى القوم، فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: اللهم، عليك بقريش، ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم، عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق،

¹ ابن حنبل، المسند، ج4، ص164، رقم2320.

² قوله: الجُزور، ما يصلح لأن يذبح من الإبل، والجمع جزائر وجزر. يُنظر: إبراهيم مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ج1، ص120.

³ سلا: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث

والأثر، ج2، ص396.

⁴ انْبَعَثَ: هب واندفع وفي السير أسرع. يُنظر: إبراهيم مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ج1، ص62.

لقد رأيت الذين سمى صرعى¹ يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب² قليب بدر.³
 أساء هؤلاء إلى النبي ﷺ غاية الإساءة، ولم تكن هذه الإساءة في عبادة ربه لما دعا
 عليهم لشدة رحمته ﷺ للناس، قال ابن مسعود رضي الله عنه فيما أخرجه عنه الطيالسي عن طريق
 شعبة: "لم أره دعا عليهم إلا يومئذ، وإنما استحقوا الدعاء حينئذ لما أقدموا عليه من
 الاستخفاف به ﷺ حال عبادة ربه".⁴

2. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاهدوا
 باللات والعزرى ومناة الثالثة الأخرى: لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم
 نفارقه حتى نقتله، قال: فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها، فقالت: هؤلاء
 الملاء من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم
 رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، قال: "يا بُنيّة، أدني وضوءاً"، فتوضأ، ثم دخل
 عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هو هذا، فخفضوا أبصارهم، وعُقِرُوا⁵ في مجالسهم،
 فلم يرفعوا إليه أبصارهم، ولم يقم منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على
 رؤوسهم، فأخذ قبضةً من تراب فحصبهم بها، وقال: شأهت⁶ الوجوه، قال: فما
 أصابت رجلاً منهم حصاةً إلا قتل يوم بدر كافراً.⁷ وفي الحديث دلالة على أن النبي
 ﷺ تعامل مع المسيئين إليه بالدعاء عليهم أحياناً؛ إذ إن الدعاء مخ العبادة، فعمل

¹ صرعى أي وقوعاً. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص143.

² قوله قليب بدر بالجر على البدلية والقليب بفتح القاف وآخره موحدة هو البئر التي لم تطو، وقيل العادية القديمة التي لا يعرف صاحبها. يُنظر: المصدر السابق، ج1، ص352.

³ مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1418، رقم1794؛ البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص57، رقم240.

⁴ يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص352.

⁵ العقر بفتح العين: أن تسلم الرجل قوائمه من الخوف، وقيل: هو أن يفجأه الروح فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص273.

⁶ شأهت الوجوه: قبحت. يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص171.

⁷ أحمد بن حنبل، المسند، ج3، ص459، رقم3485.

النبي ﷺ على الثبر والدعاء لرب العالمين.

10. منهج التأديب بما يستحق المسيء (الضرب والقتل):

المراد بهذا المنهج أنه ﷺ أدب بعض المسيئين إليه ﷺ بقتله أو أقر عليه، أو ضُرب المسيء أمامه ﷺ ولم ينكره حتى لا يسيء إليه أحد؛ لأنه نبي الإسلام، لا لأنه عربي.

- أحاديث يُستنبط منها منهج التأديب بما يستحق المسيء:

1. عن يعقوب بن عتبة أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ بالصفاء فأذاه، وكان حمزة ﷺ صاحب قَنْص¹ وصَيْد، وكان يومئذ في قَنْصه، فلما رجع قالت له امرأته، وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل لرسول الله ﷺ: يا أبا عمارة، لو رأيت ما صنع - تعني أبا جهل - باين أخيك؟ فغضب حمزة، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته، وهو معلق قوسه في عنقه حتى دخل المسجد، فوجد أبا جهل في مجلس من مجالس قريش، فلم يكلمه حتى علا رأسه بقوسه فشججه، فقام رجال من قريش إلى حمزة بمسكونه عنه، فقال حمزة: ديني دين محمد، أشهد أنه رسول الله، فوالله لا أنْثني² عن ذلك، فامنعوني من ذلك إن كنتم صادقين، فلما أسلم حمزة عز به رسول الله ﷺ والمسلمون، وثبت لهم بعض أمرهم وهابته قريش، وعلموا أن حمزة ﷺ سيمنعه.³

هذا أبو جهل المصر على إساءة النبي ﷺ قد شتمه وأساء إليه إساءات بذيئة، وأذاه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ولم يكلمه ﷺ، وسمع به سيدنا حمزة ﷺ، والذي حمله للمبادرة إلى أبي جهل وهو في مجلسه بين قومه فضربه بالقوس على رأسه فشججه شجة منكروة، وقال له: أتشتمه وأنا على

¹ أي الصيد. يُنظر: إبراهيم مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ج2، ص762.

² أي تمايل وتبختر. يُنظر: مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ج2، ص762.

³ الطبراني، المعجم الكبير، ج3، ص140، رقم2926، ويُنظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج2، ص332.

دينه؟ وانشرح صدر حمزة للإسلام، وعرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، وأن حمزة سيمنع عنه الأذى، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، والنبي ﷺ أقر حمزة ﷺ على هذا الضرب.

2. عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعها جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه.¹

وابن خطل اسمه عبد العزى ابن خطل - بفتح الخاء المعجمة، والطاء المهملة، وآخره لام - وكان قد أسلم، وسماه رسول الله ﷺ عبد الله وهاجر إلى المدينة، وبعثه رسول الله ﷺ ساعياً، وبعث معه رجلاً من خزاعة، وكان يصنع له طعامه ويخدمه، فنزلاً في مجمع - والمجمع حيث تجتمع الأعراب يؤدون فيه الصدقة - فأمره أن يصنع له طعاماً، ونام نصف النهار، واستيقظ، والخزاعي نائم، ولم يصنع له شيئاً، فعدى عليه، فضربه، فقتله، وارتدّ عن الإسلام، وهرب إلى مكة، وكان يقول الشعر يهجو به رسول الله ﷺ وكان له قيتان،² وكانتا فاسقتين، فيأمرهما ابن خطل أن يغنيا بهجاء رسول الله ﷺ،³ وهذا أدل دليل على قتل المسيء للنبي ﷺ، وأما تعلقه بأستار الكعبة فلا يسوغه ما ارتكبه من الجريمة بهجاء رسول الله ﷺ وتقدم ارتداده عن الإسلام، وهذا لا يدل أيضاً على توبته، ذكر الواقدي: وأقبل ابن خطل جائياً من مكة مدججاً⁴ في الحديد، على فرس ذئوب،⁵ بيده قنّاة،⁶ وبنات سعيد بن العاص قد ذكّر لمن أنه ﷺ قد دخل، فخرجن قد نشرن رؤوسهن يضرين بخمّهن وجوه الخيل، فضربهن ابن خطل جائياً من أعلى مكة، فقال

¹ البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص67، رقم3044؛ مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص989، رقم1357.

² القيتان مثنى قينة بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون هي الجارية المغنية. يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص200.

³ يُنظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج5، ص223؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص411.

⁴ أي لبس سلاحه. يُنظر: مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ج1، ص271.

⁵ الذئوب: الفرس الطويل الذنب. يُنظر: الجوهري، الصحاح، ج1، ص128.

⁶ أي الرمح. يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص261.

لهن: أما والله لا يدخلها حتى ترين ضرباً كأفواه المزداد!¹ ثم خرج حتى انتهى إلى الخندمة،² فرأى خيلاً المسلمين ورأى القتال، ودخله الرعب حتى ما يستمسك من الرعدة، حتى انتهى إلى الكعبة فنزل عن فرسه، وطرح سلاحه، فأتى البيت فدخل بين أستاره.³ وأهدر النبي ﷺ دم ثمانية رجال وست نسوة يوم الفتح، قُتل كثيرهم، وفرَّ بعضهم وأسلم، وشُقِّع في بعض فأسلم، وقبل النبي ﷺ توبتهم، وهم:⁴

عبد العزى بن خطل (قُتل)

عبد الله بن سعد بن أبي سرح (أسلم)

عكرمة بن أبي جهل (أسلم)

الحويرث بن نقيد (قُتل)

مقيس بن صبابة (قُتل)

هبار بن الأسود (أسلم)

قينة لابن خطل (قيل: اسمها: فُرْتَنِي،⁵ أسلمت)

قينة أخرى لابن خطل (قيل: اسمها: قَرِيْبَةٌ،⁶ قُتلت)

سارة مولاة بني المطلب (قيل: أسلمت، وقيل: قُتلت)

الحارث بن طلائل الخزاعي (قُتل)

كعب بن زهير (أسلم)

هند بنت عتبة زوج أبي سفيان (أسلمت)

أرنب مولاة ابن خطل (قُتلت)

¹ مراد جمع المزدادة: وعاء يحمل فيه الماء في السفر كالقرية ونحوها. يُنظر: مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ج1، ص409.

² جبل معروف عند مكة. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص82.

³ الواقدي، مغازي الواقدي، ج2، ص826.

⁴ ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص12.

⁵ يُنظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج5، ص225.

⁶ يُنظر: السابق نفسه.

أم سعد (قُتلت)

خاتمة ونتائج

بعد الجولة في مطالب هذا البحث من خلال إيراد بعض من الأحاديث النبوية من كتب السنَّة المشهورة وكتب السيرة المتداولة في أيدي العلماء تبيَّنًا مناهج تعامل النبي ﷺ مع المسيء إليه، وهي:

- منهج العفو والسماحة.
- منهج الصبر والحلم.
- منهج الإعراض والسكوت.
- منهج الحكمة والرد بالتي هي أحسن.
- منهج مواجهة المسيء بالأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة.
- منهج استئثار حادثة الإساءة لمزيد التعريف بالرسول ﷺ وبأخلاقه وشمائله السامية.
- منهج الزيارة وفتح باب النقاش.
- منهج الدفاع القوي الشديد المباشر الذي لا يصل إلى الاعتداء.
- منهج الدعاء عليهم.
- منهج التأديب بما يستحق المسيء.

وقلنا إن الأحاديث التي استخرجنا منها المناهج المذكورة تحمل مناهج أخرى أيضًا، من مثل منهج الإرشاد إلى الصواب، وغيره، وهناك أحاديث كثيرة في كُتُب السنة والسير يمكن أن نستقي منها مناهج أخرى، وكل ما ذكرنا هنا إنما هو دفاع عن المصطفى ﷺ.

References:

المراجع:

- Abdullah, Šāliḥ wa Ghayruhu, *Naḍrah al-Na'īm fī Makārim Akhlāq al-Rasūl al-Karīm*, (Jeddah: Dār al-Wasīlah li al-Nashr wa Tawzī', 4th Edition, no date).
- Abū Dawūd, Sulayman ibn al-Ath'ath, *al-Sunan*, ed. Shu'ayb al-Arana'ūṭ et al., (Beirut: Dār al-Risālah al-'Ālamiyyah, 1st Edition, 2009).
- Al-Bayḥāqī, Ahmad ibn al-Husayn, *Shu'b al-Īmān*, ed. 'Abd al-'Alī 'Abd al-Ḥamīd Ḥamīd,

- (Riyadh: Maktabah al-Rushd al-Nashr wa Tawzī‘, 1st Edition, 2003).
- Al-Bukhārī, Muhammad bin Ismail, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, ed. Muhammad Zuhayr bin Nāṣir al-Nāṣir, (Beirut: Dār Ṭawq al-Najāh, 1st Edition, 2001).
- Al-Farāhīdī, Ahmad ibn al-Khalil, *Kitāb al-‘Ayn*, ed. Maḥdī al-Makhrūmī wa ghayruhu, (Beirut: Dār Maktabah al-Hilāl, no date).
- Al-Jawhārī, Abu Nasr Ismail, *Tāj al-Lughah wa Ṣiḥah al-‘Arabiyyah*, ed. Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Aṭṭār, (Beirut: Dār al-‘Ilm li al-Malāyīn, 4th Edition, 1987).
- Al-Kafawī, Ayyub bin Musa, *Kitāb al-Kullīyyāt: Mu‘jam fī Muṣṭalaḥāt wa al-Furūq al-Lughawīyyah*, ed. ‘Adnān Darwīsh wa ghayruhu, (Beirut: Mu‘assasah al-Risālah, 1998).
- Al-Nasā‘ī, Abu ‘Abd Raḥman Aḥmad bin Shu‘ayb bin ‘Alī al-Khurāsānī, *al-Sunan al-Suḡhrā*, ed. ‘Abd al-Fattaḥ Abū Ghuddah, (Halab: Maktabah al-Maṭbū‘āt al-Islāmiyyah, 2nd Edition, 1986).
- Al-‘Askarī, Abū Hilāl, *Jamharah al-Amthāl*, (Beirut: Dār al-Fikr, no date).
- Al-Nisaburi, Muslim bin al-Hajjāj, *al-Tawqīf ‘alā Mahammāt al-Ta‘arīf*, (Cairo: Ālam al-Kutub, 1st Edition, 1990).
- Al-Rāghīb al-Aṣfahānī, Abu al-Qasim Husayn bin Muhammad, *al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurān*, ed. Ṣafwān ‘Adnān al-Dāwūdī, (Damascus: Dār al-Qalam, 1st Edition, 1992).
- Al-Sharīf al-Jurjānī, Ali bin Ahmad, *al-Ta‘rīfāt*, (Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st Edition, 1983).
- Al-Tirmīdhī, Abū Īsā Muḥammad bin Īsā bin Sawrah al-Sulamī, *al-Sunan*, ed. Ahmad Shākir wa Ākharūn, (Egypt: Syarikah Maktabah wa Maṭba‘ah Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa Awlādihi, 2nd Edition, 1975).
- Ibn al-Athīr, Majd al-Din Muhammad bin Muhammad, *al-Nihāyah fī Gharīb al-Hadīth wa al-Athar* ed. Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī and Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, (Beirut: al-Maktabah al-‘Ilmiyyah, 1979).
- Ibn Fāris, Aḥmad *Maqāyīs al-Lughah*, ed. ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, (Beirut: Dār al-Fikr: 1979).
- Ibn Hishām, Abd al-Malik bin Hihsam al-Himyri, *al-Sīrah al-Nabawiyyah*, ed. Muṣṭafā al-Saqā wa Ghayruh (Egypt: Syarikah Maktabah and Maṭba‘ah Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa Awlādihi, 2nd Edition, 1955).
- Ibn Kathīr, Ismā‘īl ibn Kathīr, *Tafsīr al-Qurān al-‘Azīm*, ed. Sāmī bin Muḥammad Salāmah, (al-Madinah: Dār Taybah li al-Nashr wa Tawzī‘, 2nd edition, 1999).
- Ibn Manzūr, Muḥammad bin Mukarram, *Lisān al-‘Arab*, (Beirut: Dār al-Ṣādir: 3rd Edition, 1993).